الهِجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد:

فقد حث الإسلام أتباعه على فعل الطاعات والقربات التي تقربهم إلى الله سبحانه ، وتقربهم من جنته ، ونهاهم عن المعاصي والسيئات التي تباعدهم عن جنته وتكون سببا في دخول النار عياذا بالله.

وقد حث الإسلام هلى بذل الوسائل المعينة لتحقيق تلك الأهداف ، ومن ذلك أن الإسلام حث أتباعه على اتخاذ الصديق الصالح ، الذي يُذكر صاحبه بالطاعة إذا نسي ، ويعينه إذا ذكر.

ومن ذلك أيضا أن الإسلام حث أتباعـه على التماس السكن الذي يجاوره فيه أناس صالحون ، لأن الجار الصالح يعين جاره على فعل الخير ، وعلى الصلاة في المسجد.

ومن ذلك أيضا أن الإسلام حث أتباعه على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أي الانتقال من البلد التي لا يستطيع فيها المسلمون القيام بشعائر الدين إلى بلد أخرى يستطيعون أن يقيموا فيها شعائر دينهم ، سواء كانت تلك البلد في نفس الدولة أو في دولة أخرى ، والمقصود بإظهار شعائر الدين أي إظهار إسلامه والمجاهرة به بين الناس ، والصلاة ، ولبس الحجاب بالنسبة للنساء ، ونحو ذلك من شعائر الدين ، بدون خوف أو حصول تضييق من الكفار أو ضرر.

وتضييق الكفار على المسلمين في بعض الأماكن والعصور ليس مستغربا ، لأنه من المعلوم قطعا أن الكفار لا يعينون المسلمين على طاعة الله ، بل يصدونهم عنها ، وربما يهددونهم ويعتدون على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، فلهذا شرع الله الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وقد فعل ذلك النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لما هاجر من مكة إلى المدينة

بعد أن ضيق عليه الكفار العيش ، وتعرض للحبس ، وكذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم ، تعرضوا للحبس والقتل من قِبَل كفار مكة الذين أبوا أن يدخلوا في دين الإسلام ، وصدوا الناس عنه ، فما كان من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن هاجر من مكة إلى المدينة ، وعاش فيها مع أصحابه عزيزا كريما ، يؤدي الصلاة ، ويحث الناس على الخير ، وينشر الدعوة هنا وهناك ، حتى انتشر الإسلام في أنحاء كثيرة من الجزيرة العربية وقَوِي ، ثم جاء إلى بلده الأصلي مكة وفتحها.

وهكذا على المسلم والمسلمة إذا دخلوا في دين الإسلام ولم يستطيعوا أن يظهروا إسلامهم ، وكانوا على يقين أن سيتعرضون للأذى إن فعلوا ذلك ، فعليهم بالهجرة إلى بلد أخرى ، ليعبدوا الله مطمئنين عزيزين ، وليستطيعوا نقل دين الإسلام إلى غيرهم بالدعوة إليه.

فبناء على هذا فإن الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام عبادة عظيمة ، ينبغي لمن فعلها أن يحتسب الأجر في ذلك.

وعلى العكس من هذا فمن لم يهاجر من بلد الكفر – التي لا يستطيع فيها المجاهرة بدينه والقيام بشعائره – إلى بلد إسلامي ، مع القدرة على ذلك فقد ارتكب ذنبا عظيما ، قال الله تعالى في حق بعض الذين بقوا في مكة ولم يهاجروا مع النبي (صلى الله عليه وسلم):

﴿إِن الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا * فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورا﴾.

وتفسير الآيات المتقدمة كالتالي:

إن الذين توفَّاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة، تقول لهم الملائكة عند نزع أرواحهم عند الموت توبيخًا لهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كثرتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير، والجهاد مع رسوله، وتكثير المسلمين، ومعاونتهم على أعدائهم.

فيقولون: كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين عن دفع الظلم والقهر عنا.

فيقولون لهم توبيخا: ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم؟ فقد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله.

فأولئك المتخلفون عن الهجرة مثواهم النار، عياذا بالله.

ويستثنى من ذلك المصير العَجزة من الرجال والنساء والصغار الذين لا يقدرون على الهجرة والانتقال إلى بلد أخرى ، ولا يعرفون طريقًا يخلصهم مما هم فيه من المعاناة والقهر والظلم ، فهؤلاء الضعفاء هم الذين يُرجى لهم من الله تعالى العفو ، لِعلمه تعالى بحقيقة أمرهم ، وكان الله عفوًا غفورًا.

ثم بشر الله عباده المهاجرين فبَيَّن أنَّ مَن يخرج من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فرارًا بدينه، راجيًا فضل ربه، قاصدًا نصرة دينه، فإنه سيجد في الأرض مكانًا ومُتحولا ينعم فيه بما يكون سببًا في قوته وذلة أعدائه، مع السعة في رزقه وعيشه.

ثم بين الله تعالى أن من يخرج من بيته قاصدًا نصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإعلاء كلمة الله، ثم يدركه الموت قبل بلوغه مقصده، فقد ثبت له جزاء عمله على الله، فضلا منه وإحسانًا ، وكان الله غفورًا رحيمًا بعباده ، قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

فالحاصل أن في الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من كبائر الذنوب.

تم المقال بحمد الله ، وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

ماجد بن سليمان ، في الرابع من جمادى الأولى لعام ١٤٣٦ هجري ، الموافق ٢٣ فبراير لعام ٢٠١٥ ميلادي.